المفهوم الاجتماعي للجسد لدى الرهبان

"دراسة انثروبولوجية"

م. م. جليلة مارزينا افرام *

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٤/١١ تأريخ القبول: ٢٠١٩/٥/١٢

المقدمة:

الجسد هو الكيان الاقرب الينا، والاسهل للملاحظة المادية وهو في نفس الوقت الاكثر بُعداً وغموضاً وتلوناً في فهمِنا، ذلك لان الجسد ليس شيئاً مادياً فقط وإنما هو مُعطى اجتماعي وثقافي بمعنى إن الانسان ومن خلال ثقافات المجتمعات المختلفة والمتنوعة أسس مجموعة من المفهومات والرؤى والتصورات حول الجسد ولا شك ان هذه التصورات انعكست اسلوباً في التعامل معه وتصنيفه فلسفياً واجتماعياً وفق محدداته الطبيعية من لون بشرة او تمايز بيولوجي (ذكر وانثى) فتم ترتيبه اجتماعياً إعتماداً على ذلك وتم تسخيرهِ او تقديسهِ. وقد كان للأديان نظرتَها الخاصة للجسد فمنها من عاملهُ بلؤم واعتبره مُنحطاً ومنها من صّور ألهته على غراره. وسنحاول في هذا البحث التعرف على بعض هذه الصور مع التركيز على نظرة المسيحية والراهب الى الجسد.

المبحث الاول

منهجية البحث

- **تحديد مشكلة البحث:**

الجسد موضوع بالغ الاهمية فإلى جانب كونه البعد المادي للفرد في المجتمع والى جانب موضوعاته البيولوجية والاحيائية المتعددة، فإنه يطرح في سياق ثقافي واجتماعي في جميع الثقافات وعلى مر العصور تقريباً، وقد اختلفت النظرة اليه "الجسد" ومن ثم التعامل معه بسبب هذه التنوعات الثقافية... وامتازت الثقافة المسيحية بتنوعات تاريخية ومذهبية في الموقف تجاه الجسد وكل منها كانت تتخذه وسيلة لتحقيق غاية ذات

* قسم العلوم التربوية والنفسية/كلية التربية/جامعة الحمدانية.

اهمية كبيرة هي الخلاص المسيحي، فعندما تهملهُ وتنكرهُ وتعذبهُ فلأنه يعيق خلاص الروح وباحتياجاته يعرقل مسيرة الروح ويجذبها الى الارض حيث الآثام والشرور... وعندما تعتني به فلأنه وسيلة لاكتساب الاجر والثواب وهو طريق آخر للخلاص.

ولما كانت الرهبانية ذات محتوى روحاني فمن المتوقع ان يكون لها مفهومها الخاص عن الجسد او ربما مفاهيم متعددة وهو ما سنحاول بيانه في هذا البحث.

- **اهمية البحث والحاجة اليه:-**

لهذا البحث اهميتان اساسيتان:-

الاولى علمية: فالبحث في مجال غير مطروق الا نادراً في مجال الدراسات في المجتمع الاكاديمي العراقي يعد مساهمة في فتح افاق علمية واستنارة علمية اضافية يمكنها الاضافة الى المكتبة

الثانية اجتماعية وثقافية: فالعيش في مجتمع متنوع دينياً واثنياً يتطلب ان تكون الطقوس والممارسات والمفاهيم على قدر من الوضوح كي لا يساء الحكم عليها... ونحن في هذا البحث نسعى لتقديم نموذج للانفتاح على الاخر واشاعة ثقافة تصالحية قائمة على الفهم المتبادل.

- **اهداف البحث:**

١- التعرف على مفهوم الجسد في الثقافة المسيحية بعامة.

٢- البحث في صيرورة الجسد لدى مجتمع الرهبنة.

٣- الكشف عن البعد الثقافي للجسد في طقوس الرهبنة.

- **مجالات البحث:**

١- المجال المكاني:- اديرة الرهبان والراهبات في سهل نينوى

٢-المجال البشري:- الرهبان والراهبات الدومنيكيات[1] في سهل نينوى.

٣-المجال الزمني:-المدة من ١-٩-٢٠١٨ الى ٣١-١٢-٢٠١٨.

(*) الرهبنة الدومنيكانية: هي رهبنة أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ م لمقاومة البدع والهرطقات ضد تعاليم الكنيسة ،بدأت نشاطها، في مدينة تولوز بفرنسا، وكانت أولَ رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية. وسميت بالرهبانية ب"الدومنيكية" نسبة الى مؤسسها "دومنيك" وهو اسم اسباني Domingo" وفي اللغة العربية يدعى ب"عبد الاحد" اي خادم الله ويدعون الرهبان ايضا بالإخوة الواعظين.

- **منهجية البحث:**

يعتمد البحث على المنهج السوسيو أنثروبولوجي مع اعتمادات خاصة على الانثروبولوجية الثقافية.

- **ادوات البحث:-**

١- الملاحظة بالمعايشة بوصف الباحثة عضواً في مجتمع البحث.

٢- المقابلات الفردية والجماعية

- **فرضيات البحث:**

ينطلق البحث من فرضية اساسية تقول:-

(بحكم الاختلاف الثقافي لحياة اديرة الرهبان فإن مفهوماً خاصاً للجسد أصبح عنصراً اساسياً فيها).

ومن هذه الفرضية نستنتج فرضيات فرعية:

١- لأن تاريخ المسيحية كان طويلاً ومتنوعاً لذا فإن مفهومات الجسد كانت متنوعة.

٢- بسبب خصوصية الطريق الذي يتبعه الرهبان الدومنيكيان فإن مفهوماً خاصاً للجسد نشأ ضمن ثقافتهم.

- **تحديد المفاهيم والمصطلحات:**

١- الجسد:

the body اما الجسد ففي الفرنسية(le corps) منحدر من اللفظ اللاتيني corpus اي الجزء المادي للكائنات الحية، والجسم البشري مقابل للعقل والروح(espirt) ويعد كذلك ايضاً مركزاً للعواطف والاحساس [١].

الجسد اصطلاحاً يحدد الجسد جسم الانسان ولا يقال لغيره من الاجسام المتغذية ولا يقال لغير الانسان جسد من خلق الارض. فالجسد هو جماعة البدن وقيل هو العظم واللحم، اما الجسد "الجثة" شخص الانسان قاعداً او قائماً، وقيل جثة الانسان شخصه متكئاً، او مضطجعاً، وفي مقال اخر يقال ان الجثة هي الجسد الذي لا يعقل ولا يميز اي الجسد

(١) جمال الدين ابن المنظور ابو الفضل ، لسان العرب،ج٣، بيروت، ، ط٢، ١٩٩٢، ص ١٢٠.

الميت تقول منه " مجسد" وقد يقال للملائكة والجن جسد غيره، وجمع الجسد اجساد ويُجسد اي ثوب الجسد وصوت المجسد اي معظم مرخوم على نغمات[١].

كما يعرفه الجرجاني بانه: لفظ لا يطلق الا على الحيوان العاقل، وهو الانسان والملائكة والجن[٢]. وقيل ايضاً ان الجسد هو جسم ذو تركيب لان اصله جمع الشيء واستداده[٣].

ويعرف الجسد من منظور انثروبولوجي:- بانه شيء مادي موجود في الزمان والمكان وخاضع للقوانين الفيزيائية، وهو معطى موضوعي وفيزيولوجي يمكن التفاعل معه كمادة يمكن التحكم فيها وتقطيعها وفتحها، وله وظائف تعين هويته من جنس وسن، كما له مجموعة من المنتجات الوظيفية البيولوجية كالحليب والدم واللعاب والعرق والمني مروراً بما يطرحه من فضلات وشعر واظافر وجلد ميت[٤].

٢- الراهب:

راهِب: (اسم).

الجمع : رُهْبَانٌ ، رَاهِباتٌ ، رَوَاهِبُ.

الرّاهِبُ: المتعبد في صَومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذّها، زاهدًا فيها معتزلا أهلها.

(والجمع): رُهْبَان.

وقد يكون الرُّهبانُ واحدًا.

(والجمع): رَهَابين، ورَهَابِنَة[٥].

الراهب: عضو جمعية يرتبط اعضاؤها بنذر العفة والفقر والطاعة [١].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٢) علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه: ابراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،٢٠٠٢: ص٧٢.

(٣) محمد علي بن علي التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، مجلد ٢، ١٨٦٢ ،ص ١٩٠.

(٤) خلود السباعي ،الجسد الانثوي وهوية الجندر، ،دار جداول- لبنان،ط١، ٢٠١١، ص٢٨.

(٥) عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، مجلد ١،ط ٤، ٢٠٠٤،ص١٥١.

٣ –الثقافة:

الثَّقَافَةُ لُغَةً:

أصل الثَّقافة في اللُّغة العربيَّة مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف) بضمِّ القاف وكسرها. وتُطلق في اللُّغة على معانٍ عدَّة، فهي تعني: الحذق، والفطنة، والذَّكاء، وسرعة التَّعلم، وتسوية الشَّيء، وإقامة اعوجاجه، والتَّأديب، والتَّهذيب، والعلم، والمعارف، والتَّعليم، والفنون.

قال ابن فارس: (ثقف) الثَّاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشَّيء.

ويُقال: ثقفت القناة إذا أقمت عوجها. ورجل ثقف لقف، وذلك أنَّ يصيب علمًا ما يسمعه على استواء(٢).

الثَّقَافَةُ اصْطِلَاحًا:

قِيل: هي "الرُّقي في الأفكار النَّظريَّة، وذلك يشمل الرُّقي في القانون، والسِّياسة، والإحاطة بقضايا التَّاريخ المهمَّة، والرُّقي كذلك في الأخلاق، أو السُّلوك، وأمثال ذلك من الاتِّجاهات النَّظريَّة(٣) وقيل: «جملة العلوم، والمعارف، والفنون الَّتي يطلب الحذق بها(٤).

تعني الثقافة : كل ما هو موجود في المجتمع الانساني ، ويتم توارثه اجتماعياً وليس بيولوجياً، بينما يميل الاستخدام الشائع للثقافة الى الاشارة الى الفنون والآداب فقط. فالثقافة–اذن– مصطلح عام يدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة في المجتمع الانساني.

ويعرف ادور تايلور الثقافة: ذلك الكيان المركب والذي ينتقل اجتماعياً ويتكون من المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والاخلاق، والقانون، والعادات(١).

---

(١) صبحي حموي اليسوعس(الاب)، معجم الايمان المسيحي،ط٢، دار المشرق،بيروت،١٩٩٨،ص٢٢٩.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ،معجم مقاييس اللُّغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، ج١٩٧٩،١، ص٣٨٢.

(٣) نادية شريف العمري ،أضواء على الثَّقافة الإسلاميَّة، مؤسَّسة الرِّسالة ،بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٩.

(٤) مفرح بن سليمان القوسي ،مقدمات في الثَّقافة الإسلاميَّة، ط٣، الرياض ١٤٢٤ هـ،٢٠٠٤، ص ٣٦.

الثقافة"culture" هي كل ما يرث المجتمع من اجياله السابقة باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية ،من نظم ،وقيم، ومعتقدات، اجتماعية وفكرية ودينية ،وانماط سلوكية ،ومهارات فنية، يُسيطر بها على بيئته ، ويُكيف نفسه لها، ويستطيع بوساطتها اشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية، وغيرها من جيل الى الجيل الذي يليه(٢).

الثقافة في اطار الانثروبولوجيا تعني التراث الادبي والمسرحي والفني وتعني ايضاً جميع التعابير التي نطلق عليها عادةً صفة الاجتماعية والتي تميز جماعة بشرية معينة كالتقاليد والعادات والاحتفالات على انواعها، ومسالك التعبير وتقاليد الطبخ وعادات اللبس، الخ...اضافة الى الافكار والتصورات والاساطير والمعتقدات(٣).

المبحث الثاني

الجسد في المجتمع

لعل أول من دعا الى تحرير الجسد من مقولات الروح والنفس هو الفيلسوف الالماني "نيتشه" داعياً الى التصالح معه هذا الجسد المحتقر في الفلسفة المثالية بل والاعتراف به اساساً عندما يقول "إنني ارى جسداً لا غير، وما الروح إلا كلمة اطلقت لتعيين جزء من هذا الجسد".

وبذلك يكون "نيتشه" قد أسس لبدايات فلسفة الجسد ليصبح اليوم علماً قائماً بذاته في العلوم الاجتماعية والانسانية...

وهكذا نشأت النظرة الى الجسد بوصفه وعاءاً كبيراً للبنى الثقافية ومن خلاله يُمكننا حلّ بعض الالغاز والطلاسم المستعصية(٤).

---

(١) جون سكوت ،جوردون مارشال واخرون، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة احمد زايد ومحمد الجوهري واخرون، ،المجلد الاول ، المركز القومي للترجمة– القاهرة، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، العدد ١٨٧٦، ط٢، ٢٠١١، ٥٣٦ –٥٣٧.

(٢) شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت،كويت،ط١ ،١٩٨١، ص٢٣٠.

(٣) د. فردريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، ،مراجعة د. محمد دبس، اكاديميا للنشر والطباعة، بيروت– لبنان ، ص١١٨.

(٤) خولة الفرشيشي ،الجسد– كدرس– سوسيولوجي– أجسادنا،٢٠١٨/٤/٢١ ، مصدر الانترنت

واذا انتقلنا الى مجال علم الاجتماع والانثروبولوجيا نجد أن الاهتمام بموضوع الجسد ظهر منذ بدايات القرن العشرين خاصة مع عالم الانثروبولوجيا الثقافية مرسيل موس الذي يمكن ان نعزي اليه اللبنات الاولى لسوسيولوجيا الجسد من خلال دراسته المهمة(التعبير الاجباري عن العواطف) سنة ١٩٢١، والثانية التي لازال الباحثون يدرسون على اضوائها الجسد كمعطى سوسيولوجي وهي(تقنيات الجسد) سنة ١٩٣٦.

تأمل مرسيل موس طريقة استخدام الجسد كمعطى ثقافي في المجتمعات ويعرّفها كالآتي " ما يميّز تقنيات الجسد هو أنّها لا تعتمد شيئا آخر غير الجسد لكنّ الحركات التي يقوم بها الجسد، تعتبر أفعالا تقليدية أي من صميم التجربة المكتسبة اجتماعيا. إنّ مجموع الهابتوسات الجسدية تلقن وتعلم وهي في تطوّر مستمر. ويمكن دراسة تقنيات الجسد حسب السنّ والجنس "، فمن خلال هذه التقنيات التي دمج فيها مرسال موس الأبعاد البيولوجية والسيكولوجية والسيسيولوجيا يمكن معرفة الطباع الاجتماعية وجذورها فكلّ مجتمع قد استطاع بناء جسد خاص لأفراده كما يمكن من خلال هذه التقنيات بناء مفهوم كليّ للإنسان.

وبعد الستينات من القرن الماضي قطع موضوع الجسد شوطا كبيرا في مجال المعرفة السيسيولوجيا، وفي أوّل أشواط ظهور تيّار الجسدانية تبلور مصطلح " سيسيولوجيا متقطعة " حسب تعبير دافيد لوبروتون (١٩٥٣) والذي انطلق من أطروحة أنّ الإنسان يصنع وينتج خصائص جسده من خلال اندماجه مع الآخرين وانخراطه في المجال الرمزي، ويذهب لوبروتون إلى مقولة أنّ الوضعية الاجتماعية ماهي إلا نتاج للجسد المباشر، إذ يمكننا قراءة خصال الإنسان انطلاقا من تقاطيع وتقاسيم وجهه.

تخصص لوبروتون في دراسة الجسد كمعطى ثقافي بامتياز ومن أهمّ كتبه في هذا الموضوع "سوسيولوجيا الجسد" والذي قدّمه في مقدمته العربية كما يلي " إنّ الشرط الإنساني جسدي، حيث الجسد مادة الهوية على المستوى الفردي والجماعي والفضاء الذي يمنح نفسه للنظر والقراءة وتقدير الآخرين، فبفضله نحن معنيون بانتماء اجتماعي، بجنس، بسنّ، بلون الجلد، وبخصلة فريدة في الإغراء.

.https://meemmagazine.net

من هنا حدثت نقلة نوعية في تحليل لغة الجسد وحركاته كمقاربة سوسيولوجية فمن خلال هذا الجسد يمكننا تحليل بنية المؤسسات والعلاقات الاجتماعية، كما يمكننا قراءة التمثلات والمخيلات الاجتماعية عن طريق واجهة الجسد الذي تحرر كليّا من المقولات السابقة التي احتقرته وقللت من قيمته لقد تحرر الجسد من أوثانه السابقة، إنّه "في علاقة عناق مع العالم، حيث ينحت الجسد الطريق ويستقبله بحفاوة" على حدّ عبارة دافيد لوبروتون.

واعتبر ميشال فوكو (١٩٢٦- ١٩٨٤) أنّ السلطة قد تجاوزت وظيفة القتل وتصفية خصومها إلى خطوة أكثر فاعلية وهي استثمار الجسد كمجال حيوي تنتعش فيه السلطة من خلال تضاريسه وحركاته ومن خلاله يمكنه المساهمة في نموّ الرأسمالية وتغلغلها، عن طريق دمجه في الصيرورة الاقتصادية، يقول فوكو في هذا الصدد "إنّ الانضباط يصنع الأفراد وهو بذاته تقنية القوّة التي تعدّ الأفراد هدف وأداة وجوده في آن واحد. ليس الانضباط بقوّة غالبة، بل هو قوّة متواضعة مفعمة بالشكّ، تعمل بوصفها تدبيرا مدروسا ودائما في آن واحد ".

من خلال مواضيع الجنون والإجرام والممارسات الاجتماعية في السجون وتاريخ الجنسانية اشتغل فوكو على مفهوم "التشريح السياسي للجسد" منطلقا من التاريخي نحو البيولوجي، من أجل تحليل أطروحته القائلة بخضوع الجسد إلى آليات الهيمنة والإخضاع وبالتالي تتحقق غاية السلطة من خلاله أي قيادة الفعل الاجتماعي والسيطرة الكلية على سلوك الأفراد ويظهر هذا مليّا في آليات العقاب السلطوية من تعذيب وكهربة الجسد لترويض وتطويع الجسد. وبالتالي يمكننا الحديث من خلال أطروحات فوكو عن انتفاء مواجهة الفرد للسلطة فنحن هنا نتحدث على أنّ الفرد من آثار السلطة وذلك من خلال تمثلات الجسد الاجتماعي.

وتحدّث بيار بورديو (١٩٣٠ – ٢٠٠٢) على دراسة البناء الاجتماعي للجسد من خلال حركات وتقنيات الجسد والتي تقوم بدعوة "النسق الثقافي الذي تشتغل ضمنه" حسب تعبيره، أي أنّنا نستطيع من خلال تقنيات الجسد أن نقرأ آليات التحكم الثقافي. من خلال دراسته لمجتمع القبايل بمنطقة القبائل الأمازيغية بالجزائر توصل بورديو إلى أنّ

الجسد القبايلي هو بناء تاريخي اجتماعي وثقافي يعكس من خلال العلاقات والمقابلات الاجتماعية بنية الهيمنة الذكورية.

انطلق بورديو من فكرة أنّ جسد المرأة ليس معطى بيولوجي أو طبيعي بل هو بناء تاريخي وثقافي يعكس القوى الفاعلة والمهيمنة على جسد المرأة أي الهيمنة الذكورية هي التي رسمت حدود جسد المرأة في الفضاء العامّ وقننت حركاته. وبالتالي فإنّ الاستثمار في البناء الاجتماعي للأجساد ليس إلا ميثولوجيا سياسية في حالة حضور دائمة(١).

ويدخل موضوع الجسد ضمن منظومة اهتمامات و انشغالات عصر الحداثة المتأخرة (ما بعد الحداثة) أو العالية كما يصفها عالم الاجتماع الانجليزي أنتوني جيدنز ، خاصة أن هذا العصر يشهد تحولات على المستوى الجسداني كانتشار السيدا و تنامي الشذوذ و تطور التكنولوجيا الحيوية خاصة فيما يتعلق بمسائل إستئجار الرحم أو التلقيح الاصطناعي أو زرع الاعضاء ، الحميات و عمليات التجميل ...الخ ، كل ذلك يمثل ظواهر جسدانية ذات دلالات سوسيولوجية فمثلا اذا ما ضربنا مثلا بالجسد قبل و بعد عملية التجميل فسنجد أن الجسد بعد التجميل قد تدخل بشكل مباشر في نسج علاقات إجتماعية واسعة كالصداقات ، الزواج .. بعدما كان قبل التجميل سببا في محدودية علاقات صاحبه أو حتى عزلته عن الناس، ما أود قوله هو أن فيزيولوجيا الوجه والجسد عموما لها وقعها الإجتماعي دون ريب، وفي سوسيولوجيا الجسد نحن نتحدث عن الجسد البيولوجي والفيزيولوجي كفاعل اجتماعي يعمل على إنتاج وإعادة إنتاج المنظومة المجتمعية . ولعل أن الحديث عن قضايا ما بعد الحداثة المتعلقة باهتمامات علم اجتماع الجسد يضطرنا إلى أن نلج موضوع الجنس الثالث من باب الجندرية، فهو موضوع بدأ يكسر التابوهات السوسيولوجية ليطرح نفسه مادة جديدة للبحث والتفسير، وضمنه سنجد أن الجسد يتموقع موقع الصدارة ليخط لنا فجًّا لفهم الظاهرة، بمعنى أن جماعة الشواذ جنسيا يتخذون من الجسد منطلقا لهم للتعبير عن ذواتهم و هوياتهم كثقب الأذن ولبس

(١) دافيد لوبرتون ، سيسولوجيا الجسد، ترجمة عياد ابلال وادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤، ص ١٥و١٦.

القرط والاعتناء بالأظافر والرموش وغيرها من المظاهر الجسدانية الأخرى ، هذا من جهة ومن جهة ثانية هم يحددون علاقاتهم الاجتماعية بناءا على الجسد فتجد هؤلاء يكونون جماعات و ينشئون علاقات مع من هم بنفس مواصفات أجسادهم ، إذن الجسد هنا هو الفاعل والمحدد للعلاقات الاجتماعية ، تماما كما عند جماعة عبدة الشيطان اللذين يتخذون من أجسادهم لوحة تعبيرية عن هوياتهم فينحتون الرسوم عليها عن طريق التاتو (الوشم) فيوصمون في المجتمع بوصمة تجعلهم غير مرغوب فيهم اجتماعيا تماما كما الشواذ ، أو الهيبيز اللذين ظهروا في أمريكا ستينيات القرن الماضي، وهو الأمر الذي ينأى بهم الى تكوين نسيج من العلاقات الاجتماعية يكون فيها الجسد هو المحدد الحقيقي للفعل الاجتماعي ! وهنا يتضح جليا قوة سوسيولوجيا الجسد في التحليل الجسداني. إن كل هذه الأمثلة التي قدمتها هي تأكيد سوسيولوجي على أهمية موضوع الجسد في تحديد العلاقات الاجتماعية وهوية الجماعة، فالذات الفاعلة في المجتمع هي روح وجسد متكاملين إذ لا يمكن تفسير الظواهر الاجتماعية دون الالتفات الى ما يمكن أن يلعبه الجسد من دور حاسم في صياغة أنماط الفعل الاجتماعي، كما أن الجسد على حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو هو تشييء لذوق الطبقة دون أدنى شك ! وهو الهابيتوس الجسداني، فللجسد استعمالات اجتماعية من خلاله نعبر عن ثقافة و معتقدات الشريحة أو الطبقة التي ننتمي إليها، والجسد أيضا هو في سوسيولوجيا الأشكال عند عالم الاجتماع الألماني جورج زيمل عبارة عن مظهر من مظاهر الحقيقة الاجتماعية ففي دراسته عن الموضة جعل زيمل الجسد والشكل في واجهة التحليل السوسيولوجي .. ويبقى البحث السوسيولوجي في موضوع الجسد قائما لحد اليوم ولم يكتمل بعد ، فتمثلات الجسد البدائي والحداثي والما بعد حداثي، وانعكاساتها على صنع الواقعة التاريخية والحقيقة الاجتماعية لا تزال مجالا خصبا للدراسة والتنقيب في مجال علم اجتماع الجسد، بل إنني أكاد أجزم أن موضوع الجسد سيفرض نفسه على الدارسين في شتى المجالات الانسانية ليس فقط للضرورة العلمية بل أبعد من ذلك ، للضرورة السياسية كذلك !

هذا الجسد المادي، المحدد ككتلة ،والمعروف بيولوجيا وعضوياً هو منتوج اجتماعي ، بمعنى أنه ليس مجرد كيان بيولوجي ولا يخص الشخص "ذو الجسد" لوحده... فالفرد يعبر عن نفسه بواسطة الجسد (ذكراً ام انثى على سبيل المثال)ولكنه في نفس الوقت

يعبر عن نفسه وفق اشتراطات اجتماعية تحدد حركة وتفاعل الفرد/الجسد اعتماداً على التكوين والتلوين الجسدي "ذكر/انثى/طويل/قصير/اسود/أبيض/شاب/عجوز...الخ) "فالجسد لم يسبق له ان وجد مجرداً من النظام الثقافي في اللحظة التي اعلن فيه عن نفسه انه مختلف عن الحيوانات ، فقد كان دائما مرتبطا بخلفية ثقافية ولأنه كان دائماً مرتبطاً بثقافة ،كان الموقف والتعامل مع الجسد متنوعاً جداً كما التنوع الثقافي ومرّ بالكثير من المواقف المتغيرة عبر التاريخ والمختلفة بحسب المكان[١]

وعلى مدى هذا التنوع تعاملت المجتمعات مع الجسد بأشكال متمايزة فتم تمجيده ،وعبادته واتخاذه نموذجاً اعلى للجمال، أو صورة عن الاله، كما تمت اهانته واستغلاله وتعذيبه وفي الغالب استخدم كأداة انتاج أو كسلعة ولا زالت هذه اكثر الصور انتشاراً وقبولاً مع شيء قليل من التزيين والتغليف الاقتصادي.

المبحث الثالث

نظرة الكنيسة الى الجسد

توجد قناعة منتشرة بأن الكنيسة لم تقدر كفاية قيمة الجسد، لا بل ذهبت (من خلال تاريخها) ابعد من ذلك الى احتقار الجسد وكانت تقمع بشكل كبير بُعداً مهماً من كيان الانسان وهو الجنس والكنيسة متهمة بانها تعتبر الجسد المكان المفضل للخطيئة وتتهم بانها اكثرت من اعداد الممنوعات كما انها تتهم ايضاً بانها اهملت القيمة الايجابية للذة ودورها المهم في بناء الانسان.

كل هذه الاتهامات فيها شيء من الصحة فخلال عشرين قرنا لم يكن الجنس بالنسبة للمسيحيين سوى ثمرة ممنوعة لا يمكن استهلاكها الا من اجل الانجاب.

---

(١) عبد العزيز احريبل ،سوسيولوجيا الجسد (١) الحوارالمتمدن١٠/١/٢٠١٥، مصدر الانترنت http://www.m.ahewar.org

قد لا نرى هذا في الانجيل المقدس ،ولكن الكنيسة كمؤسسة ربما كانت المسؤولة عندما اخترقت تعاليمها واخلاقياتها عناصر من الديانات القديمة او من خلال الاخلاق البرجوازية كما يقول مؤلفو كتاب "الثمرة المنوعة الذي ظهر في فرنسا سنة ١٩٨٥[١].

والسؤال المهم في هذا البحث هو كيف نظرت الكنيسة الى الجسد...

الجسد ما هو الا ساحة معركة لاهوتية بين الفضيلة والرذيلة[٢]. لذا فإن الزاهدين الحقيقيين اذلوا اجسادهم بغية العيش على نمط الجسد العقائدي بنقاء قدر الامكان، فالجسد سجن دنيوي للروح مليء بالخطيئة وهو جسد لا قيمة له وينبغي التخلي عنه[٣].

- الافكار الكتابية عن الجسد في المسيحية:

الجسد في العهد القديم: إنسان العهد القديم لا يعرف المعارضة بين الجسد والروح. والمزمور ٨٤ يقول: «ما أحب مساكنك يا رب القوات تشتاق وتذوب نفسي إلى ديار الرب». فالرغبة في رؤية الله في الجسد تجتاز مجمل الكتاب المقدس. بعض الأمثلة:

- أيوب يتحدث عن القيامة على أنها قيامة الإنسان بمجمله: «فاديَّ حيٌّ وسيقوم الأخير على التراب. وبعد أن يكون جلدي قد تمزَّق أعاين الله في جسدي» (أي ١٩، ٢٦).
- موسى يطلب إلى الله: «أرني وجهك» سفرخروج ٣٣
- وفيليب يقول ليسوع:"أرنا الآب ويسوع يجيبه بالكلمات عينها: من رآني فقد رأى الآب"انجيل يوحنا ١٤: ١٠

هذا يعني أنه بالنسبة لفيليب ولنا أيضاً ليس هناك وسيلة أخرى لرؤية الآب سوى رؤية يسوع نفسه. ولكن بالنسبة لنا يسوع اختفى، حجب عن عيوننا، عيون الجسد. ما من أحد يستطيع أن يلتقي به يوماً على إحدى مفارق الطرق. علينا إذن أن نجدد نظرتنا لكي نراه

---

(١) رامي الياس اليسوعي(الاب)الجسد بين التمجيد وعدم التقدير،٢٠١٩،مصدر الانترنت، http://markaz.marantoniosalkabir.com

(٢) جون روب، اوليفرج. ت.هاريس ،تاريخ الجسد "اوربا من العصر الحجري القديم الى المستقبل"، ترجمة جمال شرف، لبنان–بيروت ٢٠١٨،ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦٧.

حيث يبدو أنه غير موجود، بينما يقول لنا بأنه حاضر فيها: في كل إنسان وبشكل خاص في الإنسان الضعيف، في الأكثر فقراً؛ أي في الجسد المتألم. حضور الله في الإنسان المريض يجعلنا نفكر في موت المفكر الفرنسي باسكال (Blaise Pascal) الذي، بسبب آرائه اللاهوتية رفضت المناولة له لدى اقترابه من الموت. فطلب أن يوضع بجانبه مريض فقير ويكون له نفس العلاج الذي يخضع به باسكال قائلاً: «بسبب عدم استطاعته المشاركة (الاتحاد) بجسد المسيح، فإنه على الأقل يتحد مع أحد أعضائه المتألم». في الحقيقة نلمس هنا المعنى المسيحي المرهف لمعنى الجسد المتألم، وما هو جسد المسيح السري.

في تصوراتنا عن الإنسان نضع بسهولة كبيرة ردود الفعل والصلاة على الصعيد العقلي، بينما إنسان الكتاب المقدس يقول «بأن الله فاحص القلوب والكلى» (مز ٧، ١٠).

دائماً في الكتاب المقدس، يُستعمل الجسد البشري بطرق مختلفة للتحدث عن الله. يتحدث لنا عن ذراع الله الذي يحقق المآثر، وعن صوته الذي ينادي ويعزي، وعن قلبه لكي يقول حبه، وحنانه واستطاعته على المغفرة.

دون شك التحدث عن الله بهذه الطريقة، يشكل خطر الوقوع في تشبيه الله بالإنسان، أن نصنع من الله على صورتنا.... ولكن هل يمكن للإنسان التحدث عن الله بطريقة أخرى غير الكلمات الإنسانية، وانطلاقاً من خبرته كإنسان؟

ولكن في الحقيقة كاتب الإنجيل لم يأخذ هذه الصور بحرفيتها ولا على أنها الواقع. حدثين يوضحان لنا هذه الناحية:

- للحماية من الوقوع بهذا النوع من التشبيه، يمنع العهد القديم كل صور عن الله، كل تصور حسي عن الله يحاول أن يعطي لله هيئة جسد إنساني. والوصايا تقول لنا: «لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض» (خر ٢٠، ٤). فالهدف في النهاية هو حماية تعالي الله، غيريته المطلقة بالنسبة للإنسان؛ إنه الآخر يحد ذاته.
- الحدث الثاني، الطريقة التي يعبر عنها الكتاب المقدس عن كيفية خلق الله للعالم. خلافاً للأساطير القديمة حيث الآلهة تخلق بالولادة ومن مادة مسبقة الوجود، بينما إله

الكتاب المقدس ليس بمنجب؛ إنه الخالق، خارجاً عن كل جنس. لم يولد الإنسان: شعبه هو شعب مُتبنى.

عملية الخلق كما يقدمها لنا سفر التكوين تقول لنا أمراً آخر: جسد الإنسان الذي خرج من الطين– وهذا يبين لنا أصلنا الترابي– الكوني – هذا الجسد المائت ككل ما هو حي يتميز بما يلي: المخلوق الوحيد الذي قيل فيه أنه مخلوق على صورة الله كمثاله مما يشير إلى وجود دعوة، ورسالة: لم يخلق الله إنساناً محققاً، بل إنسان يجب تحقيقه، مسلم لحكمته الشخصية كما يقول لنا سفر الحكمة. إنسان خلاَّق، مثل الله نفسه، ولكن قبل كل شيء خلاَّق لذاته. إنسان يبلغ ذروة إنسانيته في يسوع. فليس آدم هو الإنسان الكامل. فالإنسان الكامل. آدم، يقول بولس الرسول، ليس سوى ظل ما سيأتي. فالإنسان الكامل، الإنسان المُحقَّق، هو ما يسميه بولس آدم الجديد: يسوع المسيح. وآباء الكنيسة اليونان يقولون بخصوص المقارنة بين آدم ويسوع: عندما خلق الله الإنسان كان يفكر بالمسيح، على أنه الإتمام الناجح للبدء الذي يشكله آدم.

– الجسد في العهد الجديد: العهد الجديد يساعدنا على تجديد موقع الجسد الإنساني في الكتاب المقدس وكرامته. أقول بداية أن احتقار أو ازدراء الجسد الذي كان موجوداً لدى المسيحيين أمر غريب جداً، بما أنه لا وجود لدين آخر يعطي للجسد الأهمية التي يعطيها الإيمان المسيحي، بما أنه لا يكتفي بالقول بأن جسدنا مخلوق من قبل الله، بل أن الله لم يتردد في أخذ جسدنا كما هو، بضعفه، وبمحدوديته، وبهشاشته، وبموته. أخذه لا ليتركه لنفسه

(لنفس الإنسان) بل لكي يرفعه[١].

سار الفكر الكنسي لا احتقار للجسد، فقد وقفت الكنيسة منذ البدء –وتجلى هذا بنوع خاص عند القديس إيريناوس اسقف ليون في القرن الثاني– وقفت هذا الموقف. فقد تصدى إيريناوس في كتابه ضد الهرطقات لبدعة الغنوصية او العِرفان وكانت تقول بأن الجسد سيء وموطن الظلام. كما تصدت الكنيسة فيما بعد للمانوية التي علمت ثنائية

(١) عماد غميد، معنى الجسد الإنساني، مصدر الانترنت،٢٠١٩/٢/١١.
http://alkalimeh.com/index.php/tarbawi/848-11225987

الجسد والروح من حيث ان الاول سيء والثاني صالح. لم تتعرف الكنيسة الى هذا الفصام بين الجسد والنفس. وبقيت الكنيسة شديدة التكفير لبدعة البوغوميل bogomils وقد ظهرت في شرقي اوربا واخذت عنها بدعة الـ cathares في فرنسا وكانت هاتان البدعتان تحتقران الجسد. وانبعث هذا التيار الخافض قيمة الجسد حتى احتقاره في روسيا.

ونشأ في كل هذه البدع نزعتان يتناقض ظاهرهما وهو ان كل بدعة كانت تبيح النسك الكامل او الفسق الكامل. الحقيقة ان الغلو في التشديد وكذلك الاستهتار يجمعهما عنصر واحد وهو ان الجسد ليس بشيء. فلكونها كذلك تهمله بتخطيه الكامل او باستعماله بلا حدود.

غير ان الكنيسة قبلت الرهبانية التي يعلو فيها الانسان جسده ولا يلغيه لكونه يريد ان يستبق الملكوت الآتي "حيث لا يزوجون ولا يتزوجون". والراهب لا يرى نفسه اقدس من المتزوجين. فلهذا هبة ولذاك هبة. وعلى كل منهما العفة. هناك عفة رهبانية بمحاولة التخطي لاستعمال الجنس وفي الزواج عفة زوجية بمرافقة امرأة واحدة والاستعفاف عمن عداها وذلك مع محاولة عدم الاستغراق في الشهوة ورؤية المرأة على انها كيان كامل قادر على كل المواهب الروحية وعلى كمال التقديس ضمن الحياة الزوجية المقدسة.

والكنيسة ترفع من شأن الجسد لكونه شركة في العبادة. انه ينتصب او يسجد وينحني امام الايقونة ويقبلها. يشترك في العبادات بكل حواسه: يعطى مسحة المرضى بالزيت. يأكل العنب المبارك في عيد التجلي في الكنيسة الارثوذكسية. يتناول البيض المبارك في الكنيسة في الفصح. يشم البخور. يستمع الى الألحان وليس فقط الى الكلمات. وفي بعض الكنائس يمارس الرقص الديني في حضرة الله. يرسم المؤمن إشارة الصليب على جسده ويبارك الكاهن بالإشارة نفسها المؤمنين. كل ذلك للدلالة على ان الجسد يصبح لغة في الكنيسة كما سيصبح لغة بين الرجل والمرأة في الحياة العائلية[١].

(١) جورج خضر (المطران)،الرؤية المسيحية- الجسد، مصدر الانترنت.
.https://ar-ar.facebook.com-19\11\2015

الجسد تم توليفيه شعائرياً في نقاط مختلفة وبالأخص من خلال وصفات حول الطهارة والتطهير، اي تنظيم طقوس للجسد(١).

ان البيئة التي ولدت فيها المسيحية وفرت مكونات غريزية لفهم الجسد. منها، ان النظرة السائدة عن الجسد في اليهودية كانت نظرة مادية– فقد تم فهم الجسد من حيث اللحم والدم والتجربة العادية والمتعة والالم–وكان بشكل عام معرضاً للمرض والموت كلياً. من ناحية اخرى ، كإن الجسد يمثل الهوية–المرء– كان يمثل جسده او جسدها. وفي نفس الوقت، بعض الطوائف اليهودية مثل الفريسيين اعتقدوا بأن الاجساد المؤمنة سوف تُبعث في نهاية الكون لتحيا ثانيةً. فقد تم فهم هذا البعث عموماً على انه انبعاث المادي نفسه– مما ينقذ هوية الموتى من التحلل والنسيان(٢).

ان جسد المسيحيين كان محكوماً بأجساد اخرى نقيضة، الصالحة منها والطالحة. قامت المسيحية على التناقض الجسدي لإله موحد، حيث جمعت المتناقضات معاً في اتحاد رباني. كما عُرفت المسيحية وحددت من خلال اجساد مقدسة واعجازية تحدت الطبيعة العميقة للأجساد العادي. النموذج، طبعاً، كان جسد السيد المسيح، الجسد المثالي، وهو يتماهى في الجغرافيا الكونية، مع الارض في مركز الخليقة. كما جَسَرت الاجساد المقدسة الهوة بين عامة الناس والسيد المسيح، مما مكنها من لعب دور الوسيط مع نوع من السلطة خولتها للقيام بالمعجزات(٣).

الاطار الشكلي للخطيئة في المسيحية خلق سجناً روحياً شديد التعقيد–جعل من الجسد ساحة معركة للتنافس الدائم بين المقدس والاثم(٤).

تم توثيق المخاوف حول الخطيئة" لان الخطيئة هي تشويه للجسد" بشكل جيد في كراسات التوبة، وهي عبارة عن كتيبات توجه الرهبان لما يجب ان يقومون به(١).

---

(١) جون روب، اوليفرج. ت. هاريس ،تاريخ الجسد "اوربا من العصر الحجري القديم الى المستقبل" ، ترجمة جمال شرف ،مصدر سابق، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٣) جون روب، اوليفرج. ت. هاريس ،تاريخ الجسد "اوربا من العصر الحجري القديم الى المستقبل" ، ترجمة جمال شرف ،مصدر سابق، ، ص٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٤٢.

لطالما كان الانتقاص من الجسد هو امتداد للعقيدة المسيحية ولكن نُظر الى الجسد ، بشكل متزايد باعتباره جهازاً منحطاً ولا قيمة له، حيث الهدف الوحيد منه هو ان يكون رافعة مؤقته للروح، بالنظر لهذا، فإن الاجساد بحاجة للضبط من الروح، كيما تنحسر اغراءات الرذيلة او على الاقل يتم تنظيمها خلال دورة الحياة. اما بالنسبة لرجل الدين البروتستانتي وليم شارلوم الذي كتب في نهاية القرن السابع عشر لم يكن الجسد مجرد وعاء الروح بل هو عدوها الذي لطالما كان على صراع دائم معها(٢).

الواقع ان الحرب التي اعلنتها الميتافيزيقيا ضد الجسد ، سوف تجد طريقها الى السلوك الفعلي في الممارسات الصارمة والمتطرفة للكنيسة فكل ما يتعلق بالجسد صنف في خانة الاشياء المستفزة والمخلة بالحياء. وموازاة مع ذلك حث القساوسة الناس على حياة الشطف والتنسك والاكثار من الصوم وبالغوا في تحسيسهم بالذنب تجاه اجسادهم التي بأقصائها فقط يستطيع المتعبد ان يبلغ تمام التجلي ويضمن لروحه الخلاص. يشير جاك لا عون في هذا الاطار الى ان: طريق التدرج الروحي يمر بقهر وتعذيب الجسد... اما المثال الاعلى اي القديس، فإن قداسته تثبت عندما يضحي بجسده. ان رجال الدين القرون الوسطى تبنوا نهجاً للحياة المسيحية ، حيث يقول القديس بولس "الذين هم في الجسد لا يستطيعون ان يرضوا الله" من ثمة برزت صورة الجسد الضعيف المولد للخطايا والمتواطئ معها وعدو الانسان الاعظم لأنه يتنازع مع ما يجعله شريكاً لطبيعة الله وهيكلاً للروح القدس(٣).

اذن نجد دائماً هذا التأرجح بين الجسد/الخطيئة والروح/الطهر بين المسيحيين وقد اختلفت الكتابات وتأرجحت كذلك بين القطبين فالفكر الرهباني يعتبر الزواج وبالتالي

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٩.

(٣) هشام العلوي ،الجسد بين الشرق والغرب"نماذج وتصورات" ، ،منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة دار البيضاء، ٢٠٠٤، ص٥٣".

الجنس المرتبط به هو التدني لمستوى الجسد المادي ويعتبر البتولية تسامي الى مستوى الملائكة(١).

وبالمقابل يعتبر الجسد مقدساً في المسيحية من خلال فكرة التجسد والاتحاد، فالجسد هو الهيكل الذي اتخذه الرب لكي يحل بين خلقه ومن يفسده هو يفسد طهارته وقداسته، فبحسب تعبير القديس ايريناوس (الجسد علامة الانسان وظهوره) بمعنى ان الجسد هو هيكل المادي الذي يحوي نسمة الحياة الالهية ، التي نفخها الله في الانسان"سفرالتكوين٧"(٢).

اما عند الرهبان والمتنسكين فهناك درجة من التوازن بين الجانبيين...ذلك إنَّ تعبير "الحياة النُّسكية ascetical life" يعني المنهج النُّسكي في الحياة والذي يتضمن ضبط النَّفْس في الأكل، السهر، الصمت، عدم الرَّاحة، الطاعة، التلمذة، إلخ. وفي المصادر الرَّهبانية الأولى، تتماثل الحياة الرَّهبانية كثيرًا مع "النُّسْك" الذي يعني "تدريب – مُمارسة – تمرين، إلخ.." ويُستخدم هذا المُصطلح في النصوص الآبائية للدلالة على الحياة الرَّهبانية والنُّسْكية ومُمارستها ، ويُدعى الرُّهبان "نُسَّاك" أي هؤلاء الذين تركوا العالم وعاشوا في عفة وبتولية وحياة فقر زاهدة ، وقد كانت هذه الكلمة تُستخدم في الأدب اليوناني عادةً للإشارة إلى "الإنسان الذي يتدرّب أو يُمارِس إحدى الفنون" والراهب بحسب تعريف القديس يوحنَّا الدَّرجي هو "ذاك الذي في جسده التُرابي يُجاهد ليبلُغ رُتبة وحالة الكيانات غير الجِسدانية، الراهب هو ذاك الذي يضبط طبيعته تمامًا ويُلاحظ حواسه على الدوام... الراهب هو نفس حزينة مشغولة في نومها ويقظتها بغير انقطاع بذِكْر الموت". وهذا التعريف يُردِّد بوضوح صدى أفكار النُّسَاك الأوائِل، كما عبَّر عنها أنبا زكريا حينما قال أنَّ الراهب هو الذي يغصِب نفسه في كلّ شيء، وهكذا يُمكننا أن نرى كيف كان للنُّسْك دورًا أساسيًا وجوهريًا في الحياة الرَّهبانية. وكانت أتعاب الجسد و جهاداته هي الثمن الذي يدفعه الراهب لأجل نوال عطايا الروح القدس، ولذلك تُوضح "الأقوال": "اعطِ

(١) حنين عبد المسيح، من ظلام الارثدوكسية الى نور المسيح، سلسلة ابحاث عن البدع الارثدوكسية،١–بدعة الرهبنة، ط٣،القاهرة،مصر،٢٠٠٩،ص٢٩و ٣٠.

(٢) حبيب شاروني، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، التنوير للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان،٢٠٠٩، ص١٨٠

دمًا وخُذ روحًا" فهذه الأتعاب هي وسائل نوال الفضيلة، أو بالأحرى هي وسيلة للبلوغ إلى هدف الرهبنة، لأنها تُنقي القلب والذهن وتجذِب النِعمة الإلهية. لكن الحياة النُّسكية لم تكُن قط هدفًا في ذاتها، فالنُّسْك ببساطة هو مُساهمة من الجسد في جهاد النَّفْس وسعيها لبلوغ غايتها وهدفها، كما شرحه القديس إيسيذروس الفرمي ،في إحدى رسائله، وإذ كان بعض الرُّهبان يتخذون من النُّسْك هدفًا في ذاته، كان الأدب النُّسْكي يُحذِّرهم دومًا مُوضِحًا أنَّ قيمة النُّسْك نسبية فقط ، وعلى سبيل المثال، عندما وجد الأنبا ثيؤدوروس أحد الأخوة يتفاخر في المجمع بأصوامه الشديدة قال له: "خير لك أن تأكُل لحمًا في قلايتك، من أن تتفاخر هكذا وسط الأخوة". لقد كان النُّسْك تربية جسدية سلبية، تهدِف إلى إضعاف الجسد الفاسد بالخطية وتنقيته وإعداده للقيامة، وكان الرُّهبان يُؤمنون أنه "بقدر ما يضعُف الجسد، بقدر ما تزهر النَّفْس". ومن الناحية الأخرى، أكَّد القديس باسيليوس أنَّ الرَّاهب يجب أن يحتفظ بجسده في حالة صحية جيدة وإلاَّ لن تستطيع النَّفْس أن تُعاين الإلهي(١).

المبحث الرابع

نظرة الراهب الى الجسد

على الرغم من المحاولات الكثيرة لإعادة الاهتمام بالجسد على مدى عقود طويلة من التاريخ المسيحي إلا ان الفكرة الرئيسة القائلة بأن الجسد فاني والروح باقية إنما تجعل من الميزان في أية ممارسة شعائرية تمثل ضد الجسد.

ولأن الرهبان والراهبات هم بشر يطمحون الى بلوغ اعلى درجات الصفاء والنقاء الممكنة كان عليهم ان يخففوا من ضغط حاجات الجسد الى اقصى حد ممكن. ربما لان ذلك يعطي الروح الفرصة لكي تتشبه بما ستكون عليه في عالم الملكوت الاعلى حيث لا يفرض الجسد اية وصاية.

---

(١) أثناسيوس فهمي جورج(القمص)، الحياة النسكية كوسيلة للتربية الرهبانية، مصدر الانترنت،٢٠١٩/١/٢١.

.https://st-takla.org

ولأنه لا يمكن للراهب او الراهبة التخلي عن جسده فعلياً فانه يروّضه او يتخلى عنه رمزياً. ففي مراسيم المجاهرة بالنذور الدائمة تنبسط الراهبة على الارض ساكبة حياتها على مثال مريم المجدلية التي سكبت الطيب على قدمي المسيح. هذا الانبساط هو دلالة الامحاء والاستسلام التام لله والموت عن العالم.

انثروبولوجياً يمكن ان يكون هذا الانبساط هو رمز للموت ذاته فالراهبة تموت(تترك حياتها السابقة كلها) انها بالموت تتخلى عن جسدها السابق، الجسد العادي مليء بالرغبات واذ تنهض فإنها تولد من جديد(يقوم جسدها الجديد من الموت) جسد منذور للمسيح والكنيسة، جسد جديد عليه واجبات جديدة تخفض احتياجاته الى ادنى حد وتستخدم امكانياته الى اقصى حد للعبادة والخدمة، انه إفناء رمزي للجسد الاجتماعي لصالح الجسد الديني. تبدو القاعدة الرئيسية في هذا المجال هي التخلي عن الجسد وعن احتياجاته ورغباته الدنيوية. ويظهر هذا الامر واضحاً في النذور الرهبانية وهي:-

١- الفقر: اذ ينذر الراهب الفقر لا يعود يقبل ان يقتني اي ملكية لهذا فهو يوزع كل ما يملك قبل دخوله الدير او يهبه للدير. هذا العمل يتجاوز الجانب المادي للاقتناء الى جانب الاكثر اهمية التخلص من رغبات الجسد في الحصول على مقتنيات مريحة او كبت لشهوة التملك لأنها تجذب الراهب او الراهبة من خلال الجسد الى الارض الدنيا وتثقل الروح فتمنعها من الانطلاق نحو افاق سماوية، فالراهب كرس جسده الجديد وروحه الجديدة للصلاة وخدمة افراد المجتمع بمجانية، فلا يتعلق باي شيء اخر لكي لا يكون لديه همّ غير الصلاة والعطاء المجاني.

٢- العفة:- وفيه يقطع النسل رغبة من الراهب ان يتنازل عن حقه الشرعي والطبيعي بالحياة. واذا كانت العفة هو الموقف المضاد من الرغبة الجنسية الجسدية ومن الرغبة القوية بالاستمرار بالوجود من خلال الابناء فان الراهب او الراهبة عندما ينذر العفة فانه يتخلى عن اقوى دوافع الجسد فيكبتها وحتماً يصارع رغباته فيخضع جسده ويتمكن منه وبدرجة ما يميته حالياً او يمكن القول انه يخفضه وينزله من مستوى الحاكم الى مستوى المحكوم. اما التنازل عن النسل ، فانه يميت مستقبل جسده بوقف سلسلة استمراره عن طريق الابناء، ويبدو لي انه ينهي المسيرة الارضية للجسد في الوقت الذي يكون قد كرس كل امكانياته للمسيرة السماوية للروح فيتوقف الجسد

وتستمر الروح، لان الراهب يعتبر الجنس وبالتالي الزواج المرتبط به هو التدني لمستوى الجسد المادي ويعتبر البتولية تسامي الى مستوى الروح.

٣- الطاعة:- الطاعة ليست قبولاً للأوامر فقط، انها ايضاً تقليل من قيمة الجسد. ويبدو هذا واضحاً عندما نتحدث عن طاعة الله، فالجسد ارضي ثقيل يرتبط باحتياجات دنيوية، في حين ان طاعة الله سماوية، تحتاج الى روح خفيفة لا ترتبط باحتياجات. الصوم واحد من الامثلة، هنا لا يهتم الراهب باحتياجات الجسد الا بقدر ما يسمح له بإداء الواجبات. الطعام لا يعود سوى محاولة لإبقاء الجسد مستمراً ليكون اداة خدمة.. اداة طاعة لتعاليم الله وللكنيسة والرهبان الاعلى مرتبة.. لابل حتى للإخوة.. ان من المطلوب ان يجعل الراهب ذاته كالمكنسة الموضوعة للتنظيف، مزدرياً الذات محتسباً نفسه جاهلاً في افكاره واقواله فتحل فيه حكمة الرب وتسهل عليه الطاعة هذا لا يعني ان الجسد لا يعود له وجود، وان يتحول الى اداة تعمل ،تصلي، تكتب.. ولكنه يصبح مأموراً من القوة الاعلى.. يصبح الجسد عبداً لا سيداً.

الخاتمة:

يعد الجسد من اهم الموضوعات التي نالت اهتمام وعناية الباحثين والمفكرين في الآونة الاخيرة ، فهو مرأة المجتمع الذي عدهُ الباحثون الرمز الناقل لثقافة المجتمع الذي نشأ فيه، ومن خلال الوجود الجسدي وطرح الصور التي تكلم عمقه المسكوت عنه والقيم التي يحملها وتمييزه المتغيرات التي يمر بها ومكوناتها، وتعابيره، ورموزه كل هذه المجالات هي التي تعطيه معنى وقيمة، ومن هنا اصبح الجسد دلالة رمزية وثقافية وله معنى بكل اوضاعه الاجتماعية والثقافية المختلفة من خلال ممارساته وطقوسه، ومرجعياته، وثقافته التي تنشأ فيه، فهو البناء الرمزي ومنشأ العديد من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى مخصوصاً ، فهو نتيجة بناء اجتماعي وثقافي[١].

(١) م.د. مؤيد فاهم محسن ،اثر اللغة في جسم الانسان بحث في انثروبولوجية الجسد، ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية-جامعة بابل ، العدد ٣٠ في كانون الاول ،٢٠١٦ ،ص٥١٣.

الجسد وعاء لمعانٍ اجتماعية وثقافية وحافظة كبيرة لكينونة الانسان، ففي مفهوم الرهبان يعتبر الجسد مستقر للصراع ضد النزعات الجسدية للأكل والجنس والكسل والتباهي لان الروح ربانية والجسد دنيوي وفانٍ، فهو ساحة معركة بين الفضيلة والرذيلة. فهو يشير حسب العالم اميل دوركايم الى ان الجسد الطبيعي الغير المروض هو كشيء مدنس[١]. وبالتالي يصبح جسد الراهب معبراً للوظائف الدينية والدنيوية بحيث يظل خادماً وسنداً له[٢].

وهكذا نحن لا نرى فقط جسد في مجتمع وانما مجتمع في جسد، اي نرى مجتمع رهباني متكامل في جسده ،وبذلك يتكون للرهبان مفهوماً خاصاً للجسد نشأ ضمن ثقافتهم وحياتهم الروحية، اي يصبح جسدهم منتج ثقافي تشكلّ على وفق قوانين رهبانية "الفقر، العفة، الطاعة".

The social concept of the body of the monks
"Anthropological Study "
Asst. Lect.. Jalila Marzina Afram

Abstract

The body is not a reality, or a reality among the other realities of the universe, but our personal reality and our objective truth, which we are called to live every day, every hour, every moment. We may dispense with any other reality, apart from this fact that we are, because it is one of the most important symbols on which all civilizations are based, many of which have been associated with the strong presence of the dual spirit and body. If the spirit has been approached by virtue of morality, the spiritual world and the gospels, the body can hardly escape its place in the material world.

(١) كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية،ترجمة منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين ،الاسكندرية،٢٠٠٩، ص٢٦٦

(٢) فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الاسلام،افريقيا الشرق، بيروت–لبنان،٢٠١٠،ص٢٦.